# اتِّضاع الشهداء في ساحة الاستشهاد من خلال كتابات إسطفانوس أسقف أهناسيا القبطية في القرن السادس الميلادي – الشهيد إيلياس أنموذجاً

**مريم ماهر يوسف ناروز**
باحث دكتوراة–كلية الآداب–جامعة المنيا

**مقدمة:**

لم تخل العظات القبطية بشكلٍ عام من التركيز على الجانب الأخلاقي ومحاولة تقويم الفضائل الروحية لدى الشعب. ومن المُلاحظ أن الواعظ القبطي اعتاد استخدام قصص طويلة ليؤكد على نصيحة أخلاقية، وقد ميَّز Müller[١] بين الأدب الديري (الموضوع لمستمعين رهبان) والوعظ لجمهور عامةِ الشعب.[٢]

وقد تَطَوَّر الشكل والإطار الأدبي لسير الشهداء من ترجمة ما يُسمى بـ(محاضر الاستجواب أو التحقيق) حتى أصبحت السيرة تُؤَلَّف مُباشرة باللغة القبطية، وصار لها شكل تقليدي يتكرر في كل نَصّ، وأهم ملامح ذلك الشكل أو الإطار هو إظهار شجاعة الشهيد أثناء محاكمته أمام الوالي الوثني، حيث يَضَع المؤلف على لسان الشهيد حديثاً طويلاً موجهاً للوالي يستهزئ فيه بالأوثان ومن يعبدونها، ويؤكد على رفضه السجود لها أو تقديم الذبائح أمامها، ثم يعلن إيمانه بالسيد المسيح. بعد ذلك يحاول الوالي استمالة الشهيد باغراءات شتى حيث يعرض عليه مالاً أو سلطة وجاهاً، فيرفضها الشهيد. بعدها يتوالي عذاب الشهيد ثم شفاؤه بطريقة معجزية، وظهور الملائكة أو السيد المسيح نفسه ليعزيه. وكثيراً ما يحدث أن يؤمن الجنود الذين يقومون بعملية التعذيب أو بعض المتفرجين من الوثنيين بسبب رؤيتهم لصلابة إيمان الشهيد ومعجزات الشفاء التي تحدث له، ويستشهد بعضهم في الحال. أخيراً، وبعد أن يستنفذ الحاكم الوثني كل محاولات ثني الشهيد عن إيمانه، تُقطع رأسه.[٣] وبين كل هذه التفاصيل لم تخل العظة من العبارات التي تدل على فضيلة الاتضاع لدى كاتب السيرة أو الشهيد نفسه في ساحة العذاب والاستشهاد. وفيما يلي تناول لنموذج من سير الشهداء في القرن السادس الميلادي، يوضح كيف واجه الشهيد العذاب بشجاعة مع تمسُّكه بفضيلة الاتِّضاع في الوقت ذاته.

الكلمات الدالة: الأدب القبطي–الاستشهاد–الاتضاع/التواضع.

**التعريف بكاتب السيرة:**

هو أسقف "إهناسيا"[٤] في زمن "البابا ثيؤدسيوس" حوالي (٥٣٦–٥٦٧م)، ولا تتوفر معلومات عنه، ولكن يُنسَب له عظتان عن "**الراهب أبوللو**" وعن "**إيلياس الشهيد**"،[٥] ومن المُرجح أن عظته عن "الراهب أبوللو" هي من أعماله قبل أن يصبح أسقفاً عندما كان راهباً في دير "الأنبا إسحق"، وبالأخص أن الموضوع كان عن "الراهب أبوللو"[٦] مؤسس الدير.[٧] ويرى "جورجي صبحي" أن العظة عن "الشهيد إيلياس" يغلب عليها كثرة الكلمات اليونانية بشكل مُذهل،[٨] ولكن يُرجَّح أن "إسطفانوس أسقف إهناسيا"

كان على معرفة باللغتين القبطية واليونانية، ولكنه وَضع مُؤَلَّفَه عن "الراهب أبوللو" لجمهورٍ يتحدث القبطية.[٩] ويُرجح Sheridan أن كلتا هاتين العظتين كُتبتا بأسلوبٍ عالٍ مناسب لاحتفال شعبي، الذي هو في هذه الحالة "الاحتفال السنوي بهذين القديسين".[١٠]

أما عن تحديد تاريخ الفترة التي قام فيها بوضع هذين العملين فيصعب تحديدها، ولكن الأحداث التي صُوِّرت في سيرة "أبوللو" كانت في فترة حكم الإمبراطور "جستنيان الأول" أي حوالي (٥٢٧-٥٦٥م)، وهذا الاستنتاج يُعتَبر صحيحاً إذا كانت قصة لقاء "الراهب أبوللو" و"ساويرس الأنطاكي" تحتوي على معلومات تاريخية حقيقية!، وبالتالي فإن هذا يساعد في التأريخ، حيث يُقال أن اللقاء حَدَث تقريباً قبل موت "ساويرس" أي حوالي (٥٣٨م)، وعلى أي حال فإن الراوي في السيرتين يُشير إلى تفاصيل عن أحداثٍ كانت في القرن السادس الميلادي.[١١]

**مصادر الدراسة:**

**-عن الراهب أبوللو:**

نُشرت تحت عنوان: "مديح في الراهب أبوللو من دير اسحق بواسطة اسطفانوس أسقف هيراكليوبوليس الكبرى".[١٢]

**-سيرة الشهيد إيلياس**

يذكره السنكسار تحت اليوم الخامس عشر من شهر برمهات،[١٣] نُشرت اسيرة استشهاده بعنوان "شهادة القديس إيلياس ومديح اسطفانوس أسقف إهناسيا للقديس إيلياس"، في:

Sobhy, George P. *Le martyre de saint Helias et l'encomium de l'èvêque Stephanos de Hens sur saint Helias*, Bibliothèque d'Etudes Coptes 1. Le Caire, ***IFAO***, 1919.

**صلاة الشهيد "إيلياس في ساحة الاستشهاد":**

جاءت صلاة الشهيد "إيلياس" مليئة بعبارات تدل على اتضاعه الشديد، ولم يكفّ عن الصلاة بعدما سمع صوت السيد المسيح يعزيه في ساحة العذاب، وقد ظهر له أيضاً "رئيس الملائكة "ميخائيل" يقويه، فصلَّى طالباً المغفرة مُقراً بخطاياه، قائلاً:

اغفر لي يارب لأني إنسان خاطئ ولكني أعرف يا ربي أنك تغفر للخاطئ إذا رجع تائباً. أطلب إليك يا ربي يسوع المسيح الذي يغفر للخطاة جميعهم اغفر لي أنا أيضاً الخطايا جميعها التي صنعتها لما كنت لا أعرفك

ⲭⲉ ⲕⲱ ⲛⲁⲓ ⲉⲃⲟⲗ ⲡⲁⲭⲟⲉⲓⲥ ⲭⲉ ⲁⲓⲏ ⲟⲩⲣⲱⲙⲉ ⲛⲣⲉⲩⲉⲣⲛⲟⲃⲉ ⲁⲗⲗⲁ ⲧⲥⲟⲟⲩⲛ ⲡⲁⲭⲟⲉⲓⲥ ⲭⲉ ⲫⲁⲕ ⲧⲙⲉⲧⲁⲛⲟⲓⲁ ⲙⲡⲣⲉⲩⲉⲣⲛⲟⲃⲉ ⲉⲩⲫⲁⲛⲕⲧⲟⲩ ⲛ̄ⲧⲙⲉⲧⲁⲛⲟⲓ. ⲧⲧⲱⲃ̄ⲥ ⲟⲉ ⲙ̄ⲙⲟⲕ ⲡⲁⲭⲟⲉⲓⲥ ⲓ̅ⲥ̅ ⲡⲉⲭ̅ⲥ̅ ⲡⲉ ⲧⲉⲫⲁⲩⲕⲱ ⲉⲃⲟⲗ ⲙ̄ⲡⲣⲉⲩⲉⲣ ⲛⲟⲃⲉ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⲕⲱ ⲛⲁⲓ ⲉⲃⲟⲗ ⲥⲱ ⲛ̄ⲛⲉ ⲛⲟⲃⲉ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⲛ̄ⲧⲁⲓ ⲁ ⲁⲩⲉⲓ ⲟ̄ ⲡⲁⲧⲥⲟ ⲟⲩⲛ ⲙ̄ⲙⲟⲕ.[14]

وقد أظهرت صلاته اتِّضاعه الشديد:

فهو يطلب أولاً المغفرة "ⲕⲱ ⲛⲁⲓ ⲉⲃⲟⲗ ⲡⲁⲭⲟⲉⲓⲥ" أي "اغفر لي يا ربي". واصفاً نفسه بأنه "خاطئ" ⲣⲉⲩⲉⲣⲛⲟⲃⲉ،[١٥] ولا يطلب المغفرة إلا من يشعر بأنه حقاً خاطئ ومُدان أمام الله،

وبالرغم من أنه في ساحة العذاب من أجل اسم السيد المسيح، إلا أنه يستمطر مراحم الله الذي يغفر للتائبين، ذاكراً في صلاته إشارة لما جاء في (حزقيال٣٣: ١١) "قُلْ لَهُمْ: حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ، بَلْ بِأَنْ يَرْجِعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا".

**ويكمل الشهيد "إيلياس" صلواته متضعاً، قائلاً:**

ويطلب الشهيد "إيلياس" في صلاته متضرعاً إلى الله الذي يسمع لكل من يتضرَّع إليه، الذي سمع لإبراهيم ولإسحق وليعقوب، أن ينجيه من الضيقات، فيقول:

| | |
|---|---|
| ⲧⲧⲱⲃⲥ ⲙ̄ⲙⲟⲕ ⲥⲱ ⲁⲛⲟⲕ ⲡⲉⲕⲥⲙ̄ⲥⲁⲗ ⲥⲏⲗⲓⲁⲥ ⳟⲉⲕⲁⲥ ⲉⲕⲉⲛⲁⲥ ⲙⲉⲧ ⲉⲃⲟⲗ ⲥⲓⲧ ⲧⲟⲩ..[16] | أطلب إليك أنا أيضاً عبدك إيلياس أن تخلصني منهم. |

يطلب الشهيد في صلاته الخلاص من أيدي الذين يعذبونه "أن ⲉⲕⲉⲛⲁⲥⲙⲉⲧ ⲉⲃⲟⲗ ⲥⲓⲧⲧⲟⲩ تخلصني أو منهم أو من أيديهم"، واصفاً نفسه باتضاعٍ أنه "ⲥⲙ̄ⲥⲁⲗ" أي "عبد أو خادم".[١٧]

**نتائج:**

التزم كُتاب الأدب القبطي بتعاليم الكتاب المقدس، حتى إنهم استشهدوا بالآيات في أكثر من موضع في أحاديثهم، وبشكلٍ ملحوظٍ.

وبالرغم من أن المثول أمام الملوك والولاة وقبول التعذيب من أجل الإيمان المسيحي تَطَلَّبَ شجاعة وقوة، لكن الشهداء الذين وصلتنا سيرُهم بقوا محافظين على فضائلهم الروحية ولم يتخلوا أبداً عن محبة من يعذبونهم وبل والصلاة من أجلهم، مع رفع قلوبهم بالصلاة باتضاعٍ شديدٍ حاسبين أنفسهم خطاة يحتاجون رحمة الله.

**Summary:**
In general, Coptic sermons focused on the moral aspect and attempted to evaluate the spiritual virtues of the people. It is noticeable that the Coptic preacher used to use long stories to emphasize moral advice, Among all these details, the sermon was not devoid of expressions that indicate the virtue of humility for the biographer or the martyr himself in the arena of torment and martyrdom.

## حواشي البحث

[١] قام Müller بدراسة حوالي ست وعشرين عظة قبطية، قام بتحليلها لغوياً وأدبياً، وقسّم "العظة" القبطية إلى أربع مجموعات: تتكون **المجموعة الأولى** من عظات على موضوعات من الكتاب المقدس. **والمجموعة الثانية** عظات عن الملائكة، و**الثالثة** أعمال مخصصة للعذراء مريم، و**الرابعة** تحتوي على أعمال مُخصصة للقديسين. ومعظم هذه العظات باللهجة البحيرية وخاصة المجموعة التي تقع في التصنيف الأول. للمزيد راجع:

-C.D.G. Müller, *Die alte koptische Predigt (Versuch eines Überblicks)*, Ph.D. diss., Heidelberg 1953.

[2]Sheridan, M. "Rhetorical Structure in Coptic Sermons," *The World of Early Egyptian Christianity: Language, Literature and Social Context: Essays in Honor of David W. Johnson*, 2007, *200.*

[٣] صموئيل معوض: إطلالات على تراث الأدب القبطي، القاهرة، ٢٠١٣، صـ ٣٢.

[٤]كانت "إهناسيا" عاصمة مصر طوال الأسرتين التاسعة والعاشرة إبان فترة الصراع بين "إهناسيا" و"طيبة" لتوحيد قطري مصر أثناء عصر الانتقال الأول، وكانت الغلبة في النهاية لحكام "طيبة"، ونظراً لما كان لهذه المدينة من أهمية، قد نالت عناية ملوك مصر طوال التاريخ القديم بوجه عام، وفي الأسرة الثانية والعشرين خاصةً. ويذكر Amélineau أنها ذُكرت في "أعمال الشهداء" *Les Actes des martyrs* أنها بلدة في الجنوب تقع على ضفة النهر، وقد ذُكرت "إهناس" في "السنكسار" ثلاث مرات. ويَعتبر "Les Scalae Coptes-Arabes" أن هذه المدينة واحدة من أهم المدن في مصر، وعُرفت في كل العصور، وتُكتب ϩϩⲛⲏⲥ أو ϩⲛⲏⲥ، ثم حرفت في العربية إلى إهناسيا، وتعرف أيضاً باسم "إهناس"، و "إهناس المدينة" أو "إهناسيا المدينة"، و"أم الكيمان" نظراً لما تضمه من أكوام أثرية كثيرة. وتطلق قائمة "أساقفة مصر" على هذه المدينة أسماء: ⲏⲣⲁⲕⲗⲉⲟⲛ=ϯⲃⲁⲕⲓ ϩϩⲛⲏⲥ أي: "مدينة إهناس". ولا تزال هذه المدينة أو–على الأقل ماتبقى من هذه المدينة– موجودة اليوم تحت اسم "إهناسيا المدينة" في محافظة "بني سويف".

للمزيد راجع:

–عبدالحليم نورالدين: مواقع الآثار المصرية القديمة منذ أقدم العصور وحتى نهاية عصر الأسرات المصرية القديمة، الجزء الثاني، مصر العليا، القاهرة، ٢٠٠٩، صـ١١–١٢.

- Amélineau, Émile. *La géographie de l'Egypte à l'époque copte*. Imprimerie nationale, 1893, 196-98.

-Mina, Togo, *Le Martyre d'Apa Epima*, Le Caire, 1937. xxxi.

[٥] أثناسيوس المقاري: فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية–الكتابات القبطية، القاهرة، ٢٠٠٦، ٢٩٧.

[6]Kuhn, Karl Heinz. "A Panegyric on Apollo Archmandrite of the Monastary of Isaac by Stephen Bishop of Heracleopolis Magna." ***CSCO*** 394-395. (1978). x-xii.

[7]Sheridan, Mark "The encomium in the Coptic literature of the late sixth century." *Christianity in Egypt, Literary production and intellectual trends, studies in honor of Tito Orlandi*, P. Buzu and A. Complani, Studia Ephemeridis Augustinianum 125, Roma: Institutum Patristicum Augustinianum 2011, 454.

[8]Sobhy, Géo PG, ed. *Le Martyre de Saint Hélias et l'encomium de l'évèque Stéphanos de Hnès sur Saint Hélias*. Vol. 1. l'Institut français d'archéologie orientale, 1919, vi.

[9]Kuhn, "A Panegyric on Apollo," xii.

[10]Sheridan, "The Encomium in the Coptic Literature," 454.

[11]Kuhn, "A Panegyric on Apollo," xii.

[12]Kuhn, Karl Heinz. *A Panegyric on Apollo Archimandrite of the Monastery of Isaac by Stephen Bishop of Heracleopolis Magna*." Corpus Scriptorum Chrisitianorum Orientalium 394-395, Leuven: Peeters 1978.

**وجاءت ترجتها العربية في:** صموئيل قزمان معوض: "إسطفانوس أسقف إهناسيا: مديح على الأرشمندريت أنبا أبوللو"، في مجلة مدرسة الإسكندرية، العدد الثلاثون (أبريل٢٠٢١). **كما نُشرت شذرتان عن الراهب أبوللو في:**

-Kuhn, K. H. "Two Further Fragments of a Panegyric on Apollo." *Le Muséon* 95, (1982): 263-268.

[13]Forget, Iacobus. "Synaxarium Alexandrinum/1,[1], Textus/ed. I. Forget." *Synaxarium Alexandrinum* (1905), 29.

[14]Sobhy, Géo PG, ed. *Le Martyre de Saint Hélias et l'encomium de l'évèque Stéphanos de Hnès sur Saint Hélias*. Vol. 1. IFAO, 1919, 10.

[15] Crum, *A Coptic Dictionary*, Oxford, 1939, 222a.

[16]Sobhy, *Le martyre de saint Helias*, 43.

[17] معوض داود عبدالنور: قاموس اللغة القبطية للهجتين البحيرية والصعيدية قبطي – عربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠ ، ٦٨٩.

-Crum, *A Coptic Dictionary*, 665a.□